رأي القدس

اتفاق الهدنة واحتمالات الصمود

■ صمد اتفاق الهدنة الذي جرى التوصل اليه بين حركتي «فتح» و«حماس»، وكان الالتزام به من قبل مسلحي الطرفين مصدر ارتياح في اوساط ابناء قطاع غزة الذين التزموا منازلهم خوفا على حياتهم.

الاتفاق جاء بعد اشتباكات دموية اسفرت عن مقتل ثلاثين شخصا على الاقل من عناصر تابعة للحركتين علاوة على بعض الابرياء، الامر الذي اثار حالة من الاستياء والقلق، دفعت بالكثيرين للنزول الى الشوارع في مظاهرات احتجاج تطالب بوقف فوري لاطلاق النار حقنا للدماء.

التجارب السابقة علمتنا بان اتفاقات مماثلة لوقف الاشتباكات لم تعمر طويلا، وسرعان ما انهارت بعد اول اختراق لها. ولذلك من الصعب الاغراق في التفاؤل تجاه الاتفاق الجديد، ولكن التصريحات التي صدرت عن المسؤولين في الحركتين حول التشديد على الالتزام به، ورفع الحماية عن اي شخص يخترقه، والاقدام على تبادل الاسرى، كلها خطوات مشجعة توحي بان احتمالات النجاح اكبر بكثير من احتمالات الفشل.

ولعل العملية الاستشهادية التي نفذها فدائي تابع لسرايا القدس الجناح العسكري للجهاد الاسلامي في مدينة ايلات الساحلية الجنوبية يوم امس الاول، والتهديدات الاسرائيلية بالانتقام التي اعقبتها، لعبتا دورا في التعجيل بالتوصل الى اتفاق الهدنة هذا والالتزام به.

ويمكن القول ايضا ان الطرفين المتناحرين خرجا خاسرين تماما من جراء انجرارهما لدوامة الاشتباكات الدموية، خاصة على صعيد شعبيتهما في الشارع الفلسطيني، بعد ان ظهر للعيان، وبكل وضوح، ان الصراع كان على السلطة والمناصب بالدرجة الاولى.

وصمود اتفاق وقف اطلاق يعتبر انجازا كبيرا، ولكنه سيظل انجازا هشا ومنقوصا اذا لم يتبعه حوار جدي بين قيادتي الفصيلين، لمناقشة الاسباب التي ادت الى هذا التدهور المخجل وغير المسبوق على الساحة الفلسطينية الداخلية.

والحوار المطلوب، لا يجب ان يكون مثل الحوارات السابقة التي افتقرت الى الجدية، وكانت بمثابة مناورة من قبل الطرفين لكسب الوقت كل لاسبابه. فحركة «حماس» كانت تريد دفع السيد محمود عباس رئيس السلطة الى حالة من اليأس تدفعه لاتخاذ قرار بحل الحكومة والدعوة الى انتخابات رئاسية وتشريعية، بحيث يتحمل التبعات الخطيرة المترتبة على هذه الدعوة، اما حركة «فتح»، والرئيس عباس على وجه التحديد، فكان ينتظر تعزيز قوات حرسه الجديد بالسلاح والعناصر حتى يكون جاهزا لاي مواجهة عسكرية مستقبلية مع خصومه في حركة «حماس».

الرئيس عباس يجب ان يتصرف كرئيس فعلا، وان يتعاون مع الحكومة التي يقول انها حكومته بشكل عملي، من حيث تسليم الوزراء الصلاحيات الفعلية، واستقبالهم في مكتبه والتشاور معهم، واصطحابهم في جولاته الخارجية.

فقد كان لافتا ان السيد عباس اصطحب معه الفريق نفسه المكون من السيد ياسر عبد ربه والدكتور صائب عريقات، وغيرهما اثناء زياراته لكل من سورية ومصر والاردن، واخيرا للمشاركة في قمة منظمة الوحدة الافريقية في اديس ابابا.

اتفاق وقف اطلاق النار سيظل قصير العمر ومعرضا للانهيار طالما ظلت النوايا على حالها لدى الطرفين، من حيث عدم اعتراف اي طرف بالآخر، واستخدامهما هذا الاتفاق استعدادا لجولة جديدة من المواجهات.

الآثار المدمرة التي الحقتها الاشتباكات الدموية الاخيرة بالقضية الفلسطينية هي الاخطر منذ انطلاق حركات المقاومة، سواء من حيث توقيتها او الخسائر التي ترتبت عليها، ولذلك يجب اتخاذ كل الخطوات والتدابير اللازمة للحيلولة دون تكرارها من خلال مصالحة وطنية حقيقية لا شكلية.

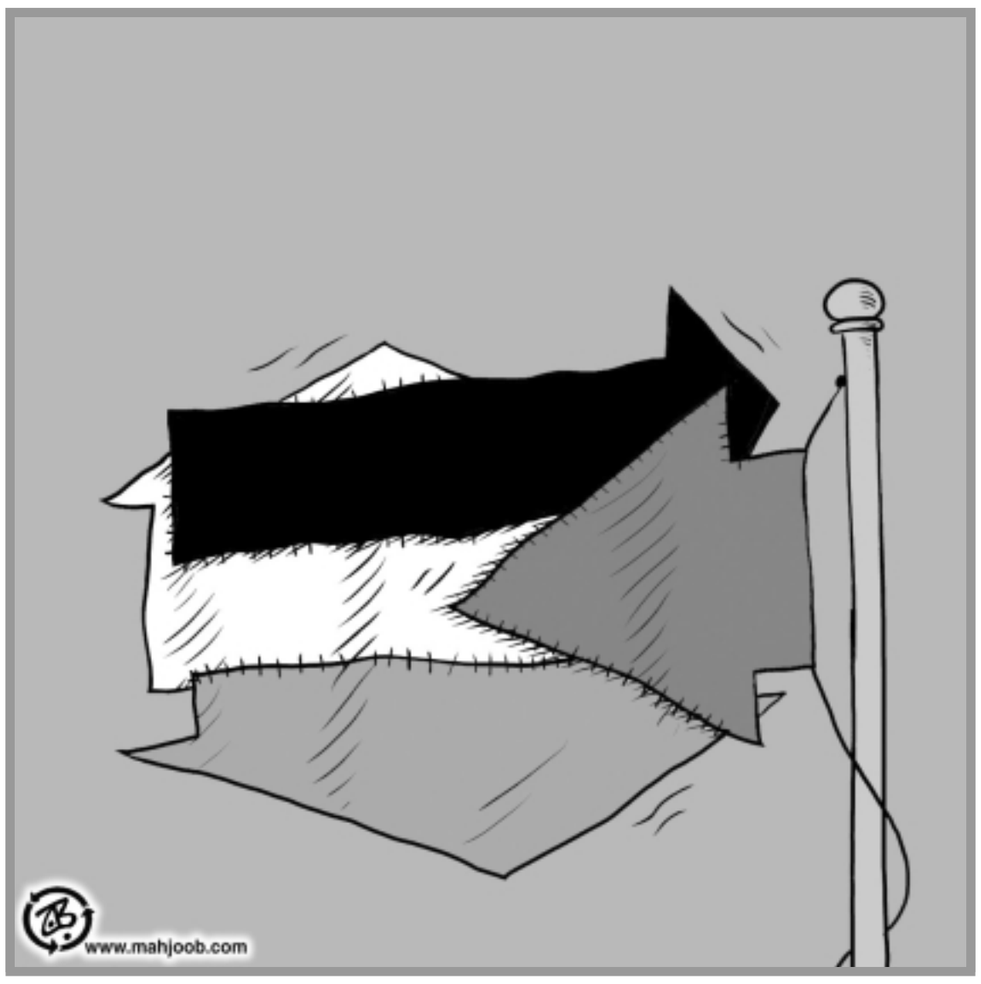

ثقافة التعايش المطلوبة بعد مؤتمر الدوحة

د. سعيد الشهابي *

■ عندما يلتقي العلماء والمفكرون والمثقفون على طاولة نقاش واحدة، تتلاشى عادة الاختلافات ومعها الخلافات، وتظهر المشتركات والجوامع، ويتم تبادل الكلمات الودية الطيبة، ويبدو الجميع على قلب واحد. ولكن ما ان يبتعد هؤلاء عن بعضهم، حتى تظهر الخلافات وتبرز الثغرات في المواقف الفكرية والمبدئية. ماذا يعني ذلك؟ ثمة عدد من الامور السلبية يجدر استحضارها قبل عقد اللقاءات والمؤتمرات لمنع تحولها الى منابر غير ذات جدوى عملية. اولها ضرورة التخلي عن النفاق الفكري والسياسي وذلك بعدم اظهار مواقف مخالفة للقناعات الداخلية، وثانيها إضمار النوايا الحسنة من قبل الجميع والابتعاد عن أساليب التربص والبحث عن الهفوات، وثالثها استشعار مخاطر التشتت والفرقة واعتبار ذلك طريقا للضعف والانهيار، رابعها: ادراك حقيقة مهمة وهي ان المشاركين في مثل هذه اللقاءات «مختلفون» في المرجعيات الفكرية ولذلك اقتضى جمعهم للبحث عن القواسم المشتركة. خامسها: ان القطيعة عامل في تعميق الشكوك والخلافات، وبالتالي فلا بد من تواصل منهجي للحوار والتفاهم. وسادسها ضرورة تعرف الفرقاء على افكار بعضهم ومعتقداته وعدم محاكمته على الظنون والشبهات والاتهامات المتداولة على غير علم.

وحسنا فعلت كلية الشريعة بجامعة قطر عندما عقدت مؤتمر التقريب ووحدة الامة الاسبوع الماضي بالعاصمة القطرية، فقد كان ذلك المؤتمر ضرورة فرضتها الظروف التي تعيشها المنطقة في ظل تنامي ظاهرة الاستقطاب المذهبي وما قد يترتب عليها من تمزق اوسع في اوساط الامتين العربية والاسلامية. ان من السهولة بمكان اثارة الخلافات الدينية، ولكن من الصعوبة احتواء آثارها وما يترتب عليها من آثار دموية مدمرة. لقد كان جميلا ان يجتمع علماء الامة ومفكروها في مكان واحد، بعد انقضاء فريضة الحج التي يفترض ان تكون جامعة لهم وعنوانا لاشتراكهم في أصول العقيدة. وكان جميلا ايضا ان يشترك في اعداد المؤتمر قطبان اساسيان من أقطاب الامة وهما ايران (ممثلة في مجمع التقريب بين المذاهب الاسلامية) ومصر (ممثلة بجامعة الأزهر). لقد كان انعقاد ذلك المؤتمر حدثا مهما وضروريا، ولكن الأهم من ذلك ان تؤدي نتائجه الى واقع أفضل على صعيد العلاقات بين المكونات البشرية لأمة المسلمين. ويفترض ان يكون المشاركون فيه على مستوى من المسؤولية تدفعهم لتبليغ رسالته الى جماهيرهم، ومنع ظاهرة الاحتقان في المشاعر والعلاقات في ما بينهم. وكان واضحا من خلال مداخلات المشاركين على مدى الايام الثلاثة وجود رغبة بين الجميع في تحقيق وئام اجتماعي بين المسلمين على تعدد رؤاهم الفقهية، وعدم تحويل الاختلافات الى شقاق اجتماعي وسياسي. كما لوحظ حماس المشاركين لاظهار حسن النوايا من خلال تأكيد المشتركات والتقليل من شأن القضايا الخلافية، والابتعاد عن الاثارات العاطفية المؤسسة على منطلقات عقيدية مرتبطة بالانتماء المذهبي الخاص. أجواء المؤتمر وفرت دفعة كبيرة للجهود المبذولة لمنع حالة الاستقطاب المذهبي الآخذة في التوسع الأفقي والعمودي، وتهديد السلم الديني لدى الأمة للحؤول دون نهوضها وتحقيق قوتها الذاتية في مجالات الفكر والتماسك الاجتماعي والنماء العلمي والسياسي.

ليس غريبا القول ان مؤتمر الدوحة جاء على خلفية الأزمة العراقية التي تسعى اوساط ظاهرة وخفية لتوسيع دائرتها والتنظير لها كقضية تتجاوز حدود العراق، وترتبط بمنطلقات فكرية ودينية تتجاوز الحدود الجغرافية لذلك البلد. كما لم يعد خافيا على احد حالة التململ في اوساط الواعين من ابناء امة العرب والمسلمين بسبب تلك الازمة، التي تهدد بالامتداد الى البلدان الاخرى، ضمن مخطط لا يمكن ان يكون بريئا او عفويا. فقد اصبح العراق ساحة فحص لدى واقعية خطط التقسيم والتفتيت في اثر ظاهرة الصحوة الاسلامية التي كانت، على مدى الثلاثين عاما الماضية، دافعا للبلورة هوية هذه الامة بعيدا عن املاءات الشرق والغرب. فاذا نجحت سياسة التقسيم في العراق، فلن يكون مستغربا تكرارها في اغلب البلدان الاسلامية الكبيرة مثل ايران وتركيا وسورية والسعودية والسودان والجزائر واندونيسيا وباكستان. فهذه البلدان انما تقوم على اسس من توافق شعوبها التي تختلف في ما بينها عرقيا ومذهبيا. اما لو استطاع العراق ان ينهض كوحدة بشرية تشمل المسلمين (شيعة وسنة) وغيرهم، وتضم العرب والاكراد والتركمان، فسوف يكون الأمر مشجعا للدول الاخرى على التماسك وتكريس مبدأ الحوار الداخلي، ومخيبا لآمال الجهات الخارجية التي لا يروق لها تعزز روح الوحدة والتقارب بين المسلمين.

كما ان ازمة العراق، فيما لو استمرت، ستؤثر سلبا على العناوين الفكرية الواسعة التي طرحها العقلاء والمخلصون من ابناء الامة. وفي مقدمة هذه الشعارات: الوحدة الاسلامية. فأية وحدة ستقوم على أشلاء ضحايا الاقتتال العرقي والطائفي؟ وأي عاقل يجرؤ على رفع شعار الوحدة عندما يصبح الدم القاني قد لون العلاقات بين مكونات الامة؟ واذا كان مفهوم الدولة الاممية قد تلاشى بسبب هذا الاقتتال المجنون، فهل سيكون هناك مجال لاستمرار الدولة القطرية نفسها؟ هذه الدولة التي قامت المواطنة فيها على اسس من الاتفاق على مبادئ التفاهم والحوار والتراضي بعيدا عن الخصوصيات المذهبية والدينية، كيف تستطيع الاستمرار اذا تعمقت فيها توجهات الانفصال والاختلاف والشقاق؟ وما معنى الدين في مثل هذه الدولة اذا كان سببا للشتات والاقتتال؟ فالمفترض ان يكون الدين عامل بناء للفرد والمجتمع، وعنصر تفاعل متواصل يهدف لتعميق القناعة بالعيش ضمن منظومة سياسية واحدة توفر الامن للجميع. اما عندما يتحول الى قوة مدمرة تدفع المواطنين الى الاحتراب على اساس الخلافات المذهبية، فسوف يتهمش دوره تدريجيا بعد انجلاء المعركة. وليس سرا القول ان من بين اسباب تهميش دور الدين في حياة اوروبا حالة الاقتتال بين مكوناته المذهبية في العصور الوسطى، والحروب التي دارت رحاها بين أتباع الكنائس المختلفة بلا هوادة. وما ان انجلت المعارك حتى تراجع دور الدين في حياة الناس، وانتشر الشعور بعدم جدواه كقوة قادرة على تماسك الدول ووحدتها.

ازمة العراق اذن، يمكن ان تكون نذير خير فيما لو استطاع علماء الامة ومفكروها ومثقفوها افشال المخططات الهادفة لتمزيقه على اسس عرقية ومذهبية. فلو سمح للتمايز المذهبي بان يكون عامل الحسم في المعارك الدائرة حاليا، فسوف يتمزق العراق على اسس مذهبية اولا، ثم على اسس قومية. ولن تسلم البلدان المجاورة من خطر هذا التوجه، بل سيدفع كل منها ثمنا باهظا لهذه الظاهرة. ان العبرة في النظم السياسية التي تحكم بلداننا ليس انتماؤها المذهبي او الديني، بل مدى انتمائها الى الحضارة والتمدن السياسي ام الى انماط الاستبداد والديكتاتورية. والتاريخ المعاصر لهذه الامة كفيل بالتوضيح. فحكومة طالبان مثلا قامت على اساس ديني، ولكنها لم تستطع ان تحظى بثقة المواطنين الافغان، وتصدى لها معارضون ينتمون الى مذهبها الديني نفسه. ولو استمرت في الحكم لحدثت في افغانستان هزات سياسية على اسس دينية ومذهبية، ولأصبحت باكستان، هي الاخرى، مهددة بتلك الهزات. باكستان تعاني اليوم من محاولات خطيرة لتحريك الاختلافات المذهبية وجعلها عنوانا لاضطرابات داخلية خطيرة، كمقدمة لتبرير استهدافها من القوى الغربية التي ترفض ان تكون باكستان دولة نووية. ويكشف كتاب جديدة بعنوان «باكستان على خط النار» للكاتب الصحافي، زاهد حسين، الارضية الخطيرة لاحتمالات الصراعات المذهبية والعرقية في هذا البلد. ولا يخفي الرئيس الباكستاني، برويز مشرف، قلقه من تنامي الظاهرة المذهبية وتهديدها العالم الاسلامي، فها هو يخاطب طلبة الجامعة الاسبوع الماضي قائلا: «ما لم نتحرك مجتمعين فستكون هناك حرب طائفية في العالم الاسلامي». وما يحدث في السودان شكل آخر من اشكال التوتر، يقوم على اساس عرقي بين ابناء الملة الواحدة. وثمة امر شبيه في تركيا والجزائر. اما ايران، فهي الاخرى، واجهت في العقود الثلاثة الماضية، محاولات التفتيت على اسس مذهبية وقومية. والسعودية هي الاخرى لن تكون بمأمن من التفتيت على اسس دينية او مناطقية، خصوصا مع غياب حالة الوئام بين اقاليمها وشعور اهاليها بالغبن بسبب التهميش السياسي والاداري.

في حالة التهييج العاطفي والشعوري، يغيب دور العقل، ويتم التعاطي مع الازمات وفق املاءات اللحظة، وهذا امر لا يستقيم مع الرغبة في اقامة وئام اجتماعي وسياسي دائم، ولا يحقق مصلحة الامن الاستراتيجي. وما تشهده المنطقة اليوم امر خطير جدا لانه استجابة لتوجيهات مجهولة المصادر، تهدف لتحريك المشاعر الكامنة على اسس عرقية ومذهبية. وفي الوقت الذي يدرك فيه ذوو العقول من ابناء هذه الامة خطر الاستجابة لهذه التحركات، فانهم عجزوا حتى الآن عن اتخاذ مواقف قيادية شجاعة ضد هذه التوجهات، وانساق معهم الشارع العربي، خصوصا مع وجود تجييش متواصل من وسائل الاعلام غير المسؤولة. المطلوب اذن ليس الاقتصار على تبادل التصريحات الودية خلال اللقاءات والمؤتمرات، مع الاستمرار في الحراك السياسي وفق املاءات التحريض الطائفي والعرقي. فالمشكلة، كما تمت الاشارة، ليست في التصريحات المخملية، بل في المواقف السوداء التي تنطوي على مشاعر الكراهية العمياء، يعيدا عن مصلحة الاديان والاوطان والناس. فليس معقولا ان تتمخض ظاهرة الصحوة الاسلامية التي بدأت قبل اكثر من ثلاثة عقود عن حروب داخلية تنطلق على الجهل وتجييش العواطف على اساس ذلك الجهل، بدلا من التصدي لمخططات اعداء الامة الهادفة لتركيعها وابقائها تحت الهيمنة والاحتلال. وكما كشف مؤتمر الدوحة، فان المسلم، اذا تركت له حرية الخيار، لن يستهدف اخاه المسلم الذي يختلف معه في بعض القضايا غير الاساسية، ولن يشعر بالضغينة له. ولكن المشكلة عندما تعطي قيادة الامة للمتطرفين والجهلة، فتغيب الحكمة عن المواقف، ويتم استبدال القضايا الاستراتيجية بأمور هامشية، ويتم محاكمة الغير، ليس على اساس ما يقره، بل على اساس ما ينسب اليه، ويستبدل اليقين بالشك، ويصبح الجهلاء قوامين على العلماء. اظهر مؤتمر الدوحة الرغبة المتبادلة بين ممثلي المذاهب الاسلامية من سنة وشيعة واباضية وزيدية، لتفادي الاشكالات والاختلافات، ولكن هل يعني ذلك انعكاس تلك الرغبة في الممارسات اللاحقة؟ والتخلي عن التصريحات والتصرفات الاستفزازية والاتهامات المتبادلة على غير يقين؟

بعض العراقيين استجاب للدعوات المذهبية، وحمل السلاح ضد اخوته في الدين والوطن على اسس محاكمة النوايا والمعتقدات، واستبدلت مبادئ القصاص العادل بقيم الانتقام غير المحدود والقتل على الهوية. وعندما يلتقي رموز التيارات السياسية والدينية العراقية، يتبادلون التحية والود، ويتفقون على اسس ومبادئ للوئام والوفاق، تنسجم مع القيم الانسانية والدينية، ولكن هذه الاتفاقات سرعان ما تسقط امام اول امتحان. ففي شهر ايلول (سبتمبر) الماضي، وقع علماء السنة والشيعة العراقيون وثيقة مكة التي تدعو الى احترام السلوك المذهبي والطقوس الشرعية للطرفين والابتعاد عن العنف والتجريح والمساس بالحرمات لديهما. ولكن سرعان ما تحولت الى وثيقة تاريخية بدون أثر واقعي على مسيرة العنف الطائفي في ذلك البلد. فما اسباب ذلك؟ لماذا تتوفر الاستجابة لدعوات التفاهم والتقارب التي كثيرا ما ادت الى اتفاقات موقعة، وتغيب الرغبة في تنفيذها؟ أهو عجز بشري؟ أهو استجابة آنية لنداءات منطقية، تفتقر الى القناعة الراسخة بقيمتها وضرورتها؟ من الذي يزين للعراقيين أساليب القتل على الهوية والمذهب ويخيفهم من بعضهم البعض حتى من انفسهم؟ وما جدوى دعوات التقارب اذا بقيت القلوب والنفوس متباعدة ومتنافرة؟ لقد انطلقت قبل نصف قرن من مصر دعوات التقريب بين المذاهب الاسلامية، وكانت لها آثار كبيرة انعكست ايجابيا على علاقات المسلمين في ما بينهم، ولكن الى أين وصلت تلك الدعوات والمبادرات؟ ولماذا تعجز امة المسلمين اليوم عن بلورة مواقف مشابهة لحقن دماء المسلمين واعادة قافلة الصحوة الى جادة الطريق بعد ان تجمعت الاحزاب لحرفها؟ انه لأمر جميل جدا انطلاق المبادرات لعقد المؤتمرات والندوات بهدف التقريب بين المسلمين، ولكن الاهم من ذلك توفر الرغبة الصادقة في التقارب، ونبذ الاستقطاب المذهبي على اسس من الجهل والعصبية والثأر والانتقام والاقصاء. مطلوب من الجميع استعداد نفسي للتعايش السلمي المتبادل على اسس من الاحترام والود بدلا من الكراهية والتكفير. اننا بحاجة لتربية جديدة لتحقيق ذلك، وعلماء المسلمين ومثقفوهم وكتابهم، يتحملون الشطر الاكبر من المسؤولية.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

مصر: ازمة حكم ام ازمة وطن؟

د. مصطفى عبدالعال *

■ لا شك في ان النظام السياسي في مصر يعاني مما يشبه الاحتضار. فالرئيس مبارك يحاول ما وسعته الحيلة الالتفاف حول الازمة الخانقة بالاعلان تلو الاعلان عن تعديلات وتطويرات واصلاحات، تصب كلها في ابقاء الحال على ما هو عليه، مراهنا على ان هذا هو الحل الامثل الى ان يصل الى طريقة جيدة لاعلان التوريث، والحق يقال ان الرئيس لاغبار عليه عندما يفعل ذلك فهو ونظامه السياسي واضحان كل الوضوح في ان القضية الاساسية لهما هي الاستمرار في الحكم وضمان هذا الاستمرار حتى بعد ان ينفذ امر الله برحيل الرئيس عن الدار الفانية للدار الاخرى فالاستمرار الوراثي هو الحل الوحيد لبقاء ملفات النهب والسلب مغلقة حتى وان دارت احاديث هنا وهناك ما تلبث ان تتلاشى لانها مجرد اشاعات لاعلاقة لها باي تحقيق فعلي يبرئ او يدين اي احد، في ظل هذا الواقع يصبح من الممكن عقليا فهم ما يريده ويفعله النظام السياسي في مصر مما يجعل تعبير ازمة النظام او الحكم تعبير مجازي، اذ ان النظام يعرف ما يريد ويسعى لتحقيقه بكل السبل والوسائل والسؤال هنا وماذا عن المعارضين؟ ما هو تصورهم وما هي السبل التي يسلكونها من اجل افشال هذا المشروع او الرد عليه بمشروع بديل او مواز الاجابة، لاشيء!!

لكن كيف يمكن ان تكون هذه هي الاجابة ومصر تعج بالاحزاب السياسية والحركات الاحتجاجية والنخب الحنجورية، لفهم ذلك نحتاج الى الخروج من مأزق ثنائية هذا او ذاك وعلى كل المستويات بدأ من هل هي ازمة نظام ام ازمة معارضة هل نقبل بالتوريث ام نسعى الى الفوضى وهل نستسلم للاستبداد ام نسعى للمجيء بالمحتل كل هذه الثنائيات اعاقت وما زالت تعيق المصريين عن اعمال العقل مما عمق تشوهات كثيرة مثل مبدأ ان السياسة وممارستها هي فعل يحتاج الى تصريح من جهات الامن او هي مجرد تجمعات قبلية لاسر وبقايا رفاق واخوة يتداعون الى حلقات زار فكرية يتصايحون خلالها بانهم افضل واول واحسن من سار على اديم الارض، هذا الواقع المرعب يعمق فكرة ان الازمة ليست مجرد ازمة حكم او معارضة او نخب بل هي ازمة وطن، كيف؟

عل التوضيح دون اسهاب يستلزم النظر الى حجم التشابكات بين كل هذه الاطراف فالنظام السياسي في مصر وعبر سعيه الحثيث لخلق مناخ مشبع بالضباب والبلاهة يدعم استمراره في تحقيق ما ينتويه، اصاب الناس في مقتل فتحول اغلب المصريين الى مجرد كائنات تسعى في الدنيا لا تعرف الى اين ولا كيف فالمهم هو البقاء وتحت اي شروط وايا كانت الوسائل فشاهدنا العديد من الشباب اليائس يستدين ويبيع ما يمتلكه من حطام الدنيا ليركب قاربا قد يوصله الى بلاد لا يعرفها او يغيب به في اعماق البحار وشاهدنا اعيانا ومسؤولين يتاجرون في الدم بالمعنى الفعلي وليس المجازي ويبيعون سرطانات ونفايات ذرية تقضي على الحرث والنسل.

هؤلاء واولئك وما بينهما هم الذين يشكلون في مجموعهم عامة الناس او الشعب الذي يؤدي انصرافه او تعاليه على النخب السياسية الى تدمير اي امكانية لتغيير الواقع فاي نخب لا معنى لوجودها بدون بشر او جماهير تصغي وتتأثر بما يطرح عليها والا فمن ذا الذي سوف يدافع او يساند اي مشاريع بديلة للتغيير، هذا الخلل دفع بالنخب الى واقع مضحك مبك وكم ذا بمصر من مضحكات كما قال المتنبي، هذه النخب المعارضة اصبحت تفرز خطابا واطروحات في غالبها الاعم ضد بعضها البعض وبالتالي تسعى كل جماعة منها الى تصالح او صلح منفرد مع نظام سياسي لا يقبل الا بالاذناب ولا يقر اي ندية وهذا ادى الى حالة من التفتت والتشرذم التي دفعت احد الغربيين الظرفاء بحكم طول البقاء في مصر الى ان يقول تعليقا على تزايد الحركات الداعية للتغيير والاصلاح، لم يبق إلا ان نقوم بعمل تجمع نسميه خواجات من اجل التغيير في اشارة خبيثة الى انتشار او قل انفجار ماسورة الحركات والجمعيات والاحزاب المطالبة بالتغيير الذي لا يعرف احد تحديدا اي تغيير او تغيير ماذا؟

وهنا يمكن ان نقول ان التساؤل الصارخ والذي لا يمكن اغفاله هو كيف وصلنا الى هذا الدرك رغم كل ما نلوكه عن العمق الحضاري وانتشار نماذج مصرية مبهرة في ربوع الدنيا؟

السبب الذي نراه يكمن فيما اسميناه ازمة وطن، فمصر التي يضخ الاعلام الرسمي عنها غناء محموما عن عظمتها وروعتها وريادتها لم تعد وطنا لابنائها الذين تحولوا لمجرد سكان يسعى بعضهم بدأب شديد من اجل الانتقال لسكن افضل ويحاول البعض الاخر ان يؤجر المساحة التي يسكنها مفروشة من باب الاستثمار والشطارة ونتيجة لتعمق هذا المفهوم او لغياب المفهوم الفعلي للوطن انهارت قيمة المواطنة فاصبح المصريون جماعات تنضوي تحت لافتات حقيقية او عبثية كالعاملين بالخارج او ذوي الدخل المحدود او التجمع القبطي الموحد او اصحاب الاسلام هو الحل او الحيتان الذين يبلعون كل واي ما يقف في طريقهم، كل هذه الفئات والجماعات تترسخ جذورها كلما طال الزمن بها فتفرز صيغا ليس اقلها تجمعات اطفال الشوارع وهي ظاهرة تتضخم بشكل مرعب ولا اخطرها تيارات تسعى لتخليص مصر من الاحتلال العربي الذي استمر اكثر من الف عام او القضاء على الاقباط لتصبح مصر اسلامية الهوى والهوية هذا الواقع السريالي الذي يعتقد البعض عن جهالة انه صراع ايديولوجي او حراك سياسي ما هو الا تصدعات في جسد الوطن ان لم يتصد احد لايقافها فلا مفر من حدوث انهيار قادم.

قد يطرح حسنو النوايا سؤالا وما الحل؟ وقد تكون الاجابة المختصرة لا حل هناك، الا ان معرفتنا بان القنوط من رحمة الله ذنب عظيم يجعلنا نستدرج ونقول ان اي حل غير الانهيار لا بد ان يبدأ من فهم حقيقي لحجم ونوع الازمة وانها ليست فقط مجرد ازمة نظام حكم او نخب سياسية بل هي ازمة وطن وعليه فلا بد بداية وبداهة ان نستعيد معنى الوطن ومن ثم معنى المواطنة ذلك المعنى الذي بدونه لا يمكن ان يكون هناك اي سبيل للبحث عن حل، فهل نفهم؟

* كاتب مصري مقيم في لندن

فلسطين: يا تحلوها.. يا..!

محمد كريشان

■ صورة درامية مرعبة: مجموعة الأطفال المتحلقين حول جثة طفل لم يتجاوز السنتين قتل في التناحر الفلسطيني الداخلي الحالي في غزة فمن الواضح من قسمات الوجوه الشاحبة أن أغلب هؤلاء الأطفال ـ وأكبرهم قد لا يتجاوز الخمس سنوات ـ لم يكونوا ينتحبون بل كانوا في حال من الذهول عجيبة. بعضهم ربما كانت تلك لحظة اكتشافه الموت أول مرة وبعضهم الآخر ربما لم يستوعب القول إن الضحية قتله رصاص فلسطيني فقد فتح هؤلاء أعينهم على سماع أن من يقتل هو دائما إسرائيلي سواء قدر لبعضهم، على صغر سنهم، أن يروا ذلك رأي العين أو أن يروى لهم، فما من بيت فلسطيني تقريبا خلا من شهيد قريب أو بعيد.

هذه الصورة كانت كفيلة لوحدها بوقف المهزلة الحالية لو كان هناك تقدير عميق وحقيقي بالمعنى الكبير الذي تحمله لكن يخشى أن إحساس من يصول ويجول في شوارع غزة ومن يأمرهم قد تبلد بالكامل، خاصة وأننا بتنا اليوم أمام ظاهرة مخيفة أكثر من الاقتتال في حد ذاته. وهي هذه الفجوة التي باتت تفصل على ما يبدو القيادات السياسية الفلسطينية عن القيادات الميدانية، ففي زمن الرئيس الراحل الشهيد ياسر عرفات كان هذا القائد قادرا على الحديث والجلوس مع الرئيس الأمريكي في البيت الأبيض وفي نفس الوقت قادرا على الشيء ذاته مع أصغر مقاتل في أضيق شارع في أصغر حي، كان ذلك في المنفى وفي الوطن، وحتى إن لم يجلس مع أحد يكفي أن تقول لهذا المقاتل وإن كان غرا أو متهورا إن «الختيار» يأمركم بكذا وكذا حتى تجد فورا الطاعة والانضباط، أما الآن فالرئيس محمود عباس يناشد وخالد مشعل يناشد وإسماعيل هنية يناشد ومع ذلك الاقتتال مستمر والضحايا تتزايد وكأن هؤلاء المسلحين لا يقيمون وزنا لهذه الشخصيات أو أن مرجعيتهم الحقيقية أشخاص آخرون موتورون من «حماس» و«فتح» على حد سواء، وفي ذلك مشكل كبير سواء لهذه القيادات السياسية أو للوضع الفلسطيني برمته، فإن كانت كلمات هؤلاء غير مسموعة في أمر بالتوقف في القتال فكيف ستكون مسموعة ومحترمة فيما هو أكبر وأخطر في المقبل من الأيام!!

المسألة الخطيرة الأخرى أن الاشتباكات التي شهدناها في غزة مؤخرا في غزة جمعت أحيانا مقاتلين من «فتح» تساندهم عناصر من «الأمن الوطني» و«الأمن الوقائي» مقابل مقاتلين من «حماس» تساندهم عناصر من «القوة التنفيذية» بحيث بتنا أمام مشهد أجهزة السلطة فيه لا تتحرك فيه بمفردها لضبط الأمن ووضع حد لحالة الفلتان كائنا من كان من يقف وراءها بل صارت «مؤجرة» لخدمة هذا أو ذاك وزادها سوءا إنشاء هذه القوة التنفيذية التي عوض أن تتصرف وفق منطق الدولة والقانون، بعد ما قيل إنها ولدت أصلا لعدم تعاون باقي الأجهزة، أصبحت تتصرف ببساطة كمليشيا لحماس فازداد الطين بلة وانزلق الجميع في منطق الفعل ورد الفعل في ظل عجز شبه كامل على معرفة من كان البادئ وهو الأظلم.

و فوق هذا وذاك، بدأت بعض المفردات العراقية المقيتة تتسرب للتغطية الإخبارية القادمة من فلسطين من قبيل عناصر ملثمة، استهداف دورية، اختطاف، محاولة اغتيال، محاصرة منطقة سكنية، قصف بالهاون على البيوت، ضرب مقرات الأمن الرسمية، التحصن بمساجد والقصف منها، اقتحام هذه المساجد والقتل داخلها... وهكذا لم يبق لا سمح الله سوى تعبير الجثث مجهولة الهوية وعليها آثار تعذيب!! ولا يهم إن كان المسؤول عن ذلك «التيار الانقلابي» في فتح أو «التيار الدموي» في حماس، المهم أن تتوقف هذه الدوامة المخجلة التي تتابعها إسرائيل بمتعة بالغة دون حتى أن يتصدى لها إعلامها بالتعليق فالأحداث ناطقة بنفسها فيما اختار أحد رسامي الكاريكاتور في الصحف القطرية أحدهم يصرخ بقوة في وجه كل من «فتح» و«حماس» قائلا: «بصراحة يا تحلوها... يا تحلوا عنا»! وقد صدق.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364